(بين ذاكر نايك وسالم الطويل)

التعليق على كلام كل من الداعية الأستاذ ذاكر نايك والشيخ سالم الطويل حول ما يصح تعلق القدرة به وما يمتنع

تعليق أبي محمد مجدي بن حمدي بن أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

أرسل لي أحد خلصائي، مقطعًا طويلاً للشيخ سالم الطويل، طالبًا رأيي فيما جاء فيه، فوجدت الشيخ قد تعرض في مقطعه هذا لمسائل كثيرة، محورها ـ فيما ذكر ـ أن الداعية المتخصص في دعوة غير المسلمين الأستاذ ذاكر، قد قال في لقاء موسع ـ عُقد على هامش ما يُقال له (كأس العالم) ـ: إن الله ليس على كل شيء قدير.

ومع أن العبارة قد صدمتني، إلا أن ما خطر ببالي، أنها زلة لسان، وقعت ضمن وصلة تخبيص، إذ تصورت السؤال الذي ورط الأستاذ في هذه المصيبة الكارثية.

لكن الذي لم يخطر في بالي أبدًا أن هذه المقالة كذبٌ على الرجل، حتى فوجئت بمن وضع أمامي أصل الكلام.

ومع أن الأستاذ ذاكر خبص كثيرًا، وشرق وغرب في خبصه هذا، إلا أنه قد ظُلم ظلمًا بينًا، ظلم لا يليق بأن يقع على أحد عوام المسلمين، فكيف بأحد فضلائهم الكبار، الذي يقف على أحد أهم ثغورهم؟.

ومع عدم متابعتي لنشاط الرجل، إلا أن جهوده المثمرة في دعوة غير المسلمين قد سارت بها الركبان. أما الغلط والوهم فهو مردود على كل أحد كائنًا من كان، والواجب أن يتبادل المسلمون النصح والخبرات والعلوم فيما بينهم، ويصحح بعضهم لبعض، والعجيب أني لما راجعت كلام الشيخ سالم الطويل، وجدته هو الآخر قد وقع في أصل خبص الأستاذ ذاكر، فخرجت المسألة إلى باب قول أهل المحروسة: "لا تعيرني ولا أعيرك ده الهم طيلني وطيلك".

وفيما يأتي سأذكر كلام الأستاذ ذاكر بنصه، وسأعلق عليه في الهامش بشيء في غاية الاختصار، ومن خلاله سيتضح موضع كذب وتعدي الشيخ سالم، على الأستاذ ذاكر، وسيتضح أيضًا مواضع خبص الأستاذ ذاكر، نسأل الله أن يوفقنا جميعًا لما يحب ويرضى.

هذا والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

سئل الأستاذ ذاكر: إذا كان الله خارقًا للطبيعة وقادراً على فعل كل شيء[1]، لماذا الله لا يتشكل على هيئة بشر[2]، صديق لي كافر يسأل.

---

(1) نعم الله قادر على كل شيء، هذا عموم لا ينخرم أبدًا، وهو جواب جميع المؤمنين، فكل ما يقع عليه اسم (شيء)، هو مقدور تتناوله قدرة الله سبحانه وتعالى، وهذا يأخذنا إلى السؤال عما يقع عليه اسم (الشيء المقدور)؟ الجواب: أنه:

١- الثابت الكائن، الذي له وجود يخصه خارج الأذهان، فيقبل أن يُدرك بالحس كالرؤية، كسائر الموجودات التي تقبل أن تُدرك بالحس، إذ لكل منها وجود يخصه خارج الأذهان.

٢- والمعدوم الذي في علم الله أنه يكون، فهذا (شيء) له ثبوت في علم الله تعالى، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النحل: ٤٠]. فسماه تعالى شيئًا قبل أن يريده ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾، وقبل أن يكون ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ، ولكنه شيء في علم الله تعالى، وليس له ثبوت يُدرك في الخارج، فالمعدوم ليس بشيء خارج العلم، خلافًا لأهل البدع، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [سورة الإنسان: ١].

٣- المعدوم الممكن، الذي لا يكون، فهو ممكن، لعدم امتناعه في ذاته، وبدلالة تناول القدرة لما هو أكبر منه، إذ يُستدل على إمكان الشيء، بوجود ما هو أكبر منه. ومن هذا الباب، قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [سورة القيامة: ٤]. فأخبر تعالى أن ذلك مقدور له، ودل العقل أيضًا على إمكانه، إذ اختلاف البنان أبين في الدلالة على القدرة من تسويتها، لما في اختلافها من الجمال والمنافع.

وهذا باب الممتنع لغيره لا لذاته، وهو باب واسع، يدخل فيه كل ما أخبر الله تعالى أنه لو شاء لفعله، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة يونس: ٩٩]، مما يستلزم في مفردات هذا الباب أنها ممكنة مقدورة.

فهذه أقسام المقدور، الذي تتناوله القدرة، ويقع عليه لفظ (شيء). أما الممتنع لذاته، وهو المستحيل لذاته، فلا يقع عليه اسم (شيء)، حتى تتناوله القدرة.

(2) لأن هذا ليس بشيء أصلاً، حتى يكون مقدورًا تقع عليه القدرة، لأنه من المستحيل الممتنع

لذاته، لأنه داخل في الجمع بين النقيضين، والنقيضان لا يجتمعان معًا، ولا يرتفعان معًا، إلا ما يكون من خيالات أهل الخبل والهلوسة، وكونه تعالى إلهًا، نقيضٌ للتجسد، الذي هو طبيعة البشر، فيؤول هذا السؤال إلى أن الله إلهًا وليس بإله في آن واحد، ولا يرد على هذا قول الذين قالوا بالطبيعة الواحدة، الذين قالوا بأن المسيح عليه السلام كان وهو في بطن أمه خالق أمه مريم ومدبر الكون وخالقه وإلهه، كذلك وهو يخرج إلى العالم مختلطًا بالدم والمشيمة، كذلك وهو يبول ويبكي طلبًا لصدر أمه، ولتغير له القمط، كان في كل ذلك عندهم خالق مريم وإله الكون والعالم ومدبره، وهذا كله معدود ضمن الاستحالة الذاتية المبنية على معاندة الضرورة العقلية الهجمية، التي تهجم على النفس فلا تجد منها فكاكًا، فتفرق بين ما تختص به الطبيعة البشرية، وبين ما يختص به الإله، ففي المستقر في فطر الخلق وعقولهم من معاني الولادة، والأم، والابن، وسائر ما ذكر من أسباب النقص البشري، ما يتنافى مع ما استقر في فطرهم بما يختص به الإله، العليم القدير، الذي لم يسبقه العدم ولا يلحقه الفناء، بما يجعل الجمع بين هذا وذاك نوع من التوهم والخيال الفاسد.

فمن طرق التمييز الأولية التي فطر الله سبحانه الناس عليها في إدراك الأشياء، أن اسم الشيء يتبع ماهيته وصفته التي يختص بها، وعلى هذه الحقيقة الأولية في الإدراك، قامت حجة القرآن الدامغة في نفي ألوهية عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ [سورة المائدة: ٧٥]، والذي يأكل الطعام مضطر إلى أن يحدث الحدث، فاحتج عليهم القرآن في نفي الإلهية عن عيسى بأحد أخص خصائص البشر، التي يتمثل فيها الحدوث، والفقر، والحاجة، والتي يستحيل أن تجتمع مع ما استقر في فطر الناس بما اختص به الإله من الغنى المطلق، وبهذه الحجة العقلية الأولية الدامغة، التي لا يجد عقلاء الخلق منها فكاكًا، احتج النبي صلى الله عليه وسلم على وفد نصارى نجران لما ناظروه في ألوهية عيسى، فقال: ألست تعلمون بأن عيسى كان يأكل الطعام ويحدث الحدث؟. فأقام الحجة عليهم عبر ما فطر الله عليه الخلق، باستحالة الجمع في محل واحد بين ما اختص به البشر، واختص به الإله.

فالحاصل أن عقيدة التجسد، قائمة على الخصام بين العقل والإيمان، المتمثل في معاندة الضرورة

جواب الأستاذ ذاكر: بالنسبة للشق الثاني من السؤال: الله قادر أن يفعل كل شيء، من الطبيعي أن أطرح هذا السؤال على المؤمنين بالله فقط ليفهموا عن الله أكثر: هل الله قادر على كل شيء، وأي شيء؟ وأكثرهم(٣) يقولون: نعم هو قادر.

وهل هو قادر على تدمير كل شيء، الكل سيقول: نعم(٤).

سؤالي الثالث: هل هو قادر على خلق شيء لا يمكنه تدميره(٥)؟.

العقلية الهجمية، التي تفرق بين ما يختص به الإله وبين طبيعة البشر.

والعجيب أن قادة الأمة النصرانية الذين يقولون لهم علماء، يقرون بهذا الخصام والمعاندة بين العقل وبين الإيمان، هذا الخصام هو أصل الخلل في العقل الجمعي لهذه الأمة، وأصل الانتكاسة الحضارية والإنسانية الملازمة لها في الماضي والحاضر.

تنبيه: الحضارة شيء والتقدم المادي والتقني شيء آخر، وقد اعتاد أهل الانكسار على الخلط بينهما.

(٣) قوله: (أكثرهم) خطأ، بل هو قول جميع المؤمنين، الله قادر على كل شيء، وقد تم تفسير معنى الشيء.

(٤) لا ليس الكل. فالعلماء لن يقولوا: (نعم)، لكن سيقولون: الله قادر على تدمير كل شيء يقبل التدمير، فلفظ (كل) هنا ينبغي أن يكون من العام المراد به الخصوص، وهو هنا (ما يقبل التدمير)، لماذا؟ لأن الله تعالى (شيء) فالله تعالى (شيء)، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ١٩]، فإذا سألنا خبلٌ: أليس الله قادر على كل شيء، فلماذا لا يدمر نفسه؟ قلنا: لأن هذا الخبلَ الذي تقوله ليس بشيء أصلاً، حتى يكون مقدورًا تتناوله القدرة. وكذلك القرآن شيء، وهو كلام الله تعالى غير مخلوق، وكلامه صفته تعالى.فليس مرادًا بهذا العموم قطعًا.

(٥) هذا سؤال فاسد من المغاليط التي لا يسألها إلا أهل الخبل، لماذا؟ لأن معنى السؤال: هل يقدر الله على المستحيل الممتنع لذاته؟ أو بمعنى آخر: هل يقدر الله على ما لا يقبل الدخول تحت القدرة؟ أو بمعنى آخر: الله الذي يقدر على كل شيء، هل يقدر على ما ليس بشيء؟ أو بمعنى آخر: هل يقدر الله على إيجاد ما لا يقع عليه اسم (شيء) موجودًا كان أو معدومًا؟. هذا عبث. وإذا نظرنا إلى السؤال نعرف موضع العبث فيه: ف (خلق شيء لا يمكن تدميره) يعني لا

إذا قالوا: نعم قادر على خلق شيء لا يمكنه تدميره[٦]، سيخالفون جوابهم الثاني: أن الله قادر على تدمير كل[٧] شيء. وإذا قالوا: لا، لا يستطيع خلق شيء لا يمكنه تدميره، هذا يعني أنهم سيخالفون جوابهم الأول أن الله يستطيع خلق أي شيء[٨]. إنهم لا يستخدمون المنطق[٩] إنهم محاصرون. بنفس الطريقة، الله لا

يقدر على تدميره، ممتنع لذاته، إذ أن كل مخلوق كائن بعد أن لم يكن، يعني كان معدومًا، ثم وجد وكان، وما كان كذلك فهو ممكن العدم، وإن لم يُعدم بالفعل، كالجنة والنار، فقد أخبر الله تعالى أنهما باقيتان. فعدمهما من باب الممكن المقدور الذي لا يكون، فهو من الممكن الممتنع لغيره لا لذاته، كما تقدم في الهامش رقم (١)، ضمن أقسام ما يُقال له (شيء).

(٦) هذا كلام فاسد أيضًا، لماذا؟ لأن قوله (لا يمكن تدميره) يعني لا يقدر الله على تدميره، وكل مخلوق عدمه ممكن مقدور، وفرقٌ بين لا يقدر على تدميره، وبين لا يدمره، كما في الجنة والنار.

(٧) تقدم أن لفظ (كل) هنا من العام الذي يراد به الخصوص. فالله شيء، والقرآن شيء، ولا يقبلان الفناء والعدم، لأنه مستحيل ممتنع لذاته، بدلالة العقل والشرع، والجنة شيء، والنار شيء، ومع أن عدم كل منهما ممكن مقدور للرب تعالى، غير ممتنع في ذاته، إلا أنهما باقيتان.

(٨) هذا استدلال فاسد، على معنى فاسد، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [سورة الزمر: ٦٢]، فالعموم في لفظ (كل) غير مراد، إذ هذا من باب العموم يراد به الخصوص، لا العام المخصوص، والخصوص فيه: (ما يقع عليه معنى الخلق)، فالمراد بالآية: الله خالق كل ما يقع عليه معنى الخلق، وإلا فالله شيء، وخلق نفسه من المستحيل الممتنع لذاته، فلا يدخل تحت اسم (شيء)، والقرآن شيء، ولكنه غير مخلوق، لأن القرآن من علم الله، وعلم الله غير مخلوق، ولأن القرآن كلام الله، وكلامه غير مخلوق، فكلامه صفته، وصفات الله غير مخلوقة. والحاصل أن كل ما لا يقع عليه معنى الخلق غير مراد بالآية، وخلق شيء لا يقدر على تدميره، لا يدخل تحت اسم (شيء) لا الموجود منه ولا المعدوم، لماذا؟ لأن معناه هل يقدر الله أن يخلق شيئًا ليس بشيء؟، أو هل يستطيع الله أن يخلق ما ليس بمخلوق؟ وهذا كله له وصفٌ واحدٌ فقط: (المستحيل الممتنع لذاته) أو بمعنى آخر (الهلوسة) أما خلق شيء لا يعدمه، فهذا موجود، الجنة والنار، وفرق كما تقدم، بين لا يقدر، وبين لا يفعل.

(٩) وهذا كله لا يوصف بأنه (منطق) هذا عبث، لأن المنطق يتعلق بالبحث في الأشياء، وهذه

يمكن أن يخلق رجلاً طويلاً قصيرًا، وهناك ألف شيء[10] مثل هذا لا يمكن أن يفعله الله[11]، الله لا يمكن أن يكذب، إذا كذب فلن يكون إلهاً، الله لا يمكن أن يكون ظالمًا، إذا ظلم فلن يكون إلها، لا يمكن أن يخرجني من ملكوته. لا يوجد آية في القرآن تقول: إن الله يمكن أن يفعل كل شيء، القرآن يقول: إن الله على كل شيء قدير[12].
قال إن الله عنده القدرة لعمل كل شيء، قال ذلك في أماكن متعددة، وهناك فرق بين الله يمكن

لا يقال عنها شيء أصلاً. هذه مغاليط، تدخل في خيالات أهل الهلوسة.

(10) هذا هو موضع الخلل في كلام الأخ الأستاذ ذاكر، وهو تسمية هذا العبث الممتنع لذاته بـ (شيء) فالطويل القصير لا يقال له (شيء) أصلاً. العجيب أن هذا الخلل لم يسلم منه الشيخ سالم الطويل ذاته في رده على الأستاذ ذاكر، قال الشيخ الطويل: "فالحياة والموت وصفان متقابلان تقابل النقيضين، طيب نأتي إلى الأمثلة: الله هو الحي الذي لا يموت، يقول: هل يستطيع أن يموت، إذا مات لم يكن الحي الذي لا يموت. وإذا كان الحي الذي لا يموت إذاً لا يموت. أما أن تريده في وقت واحد أن يكون حيًا لا يموت، ويموت، هذا طلب مجانين. هذا مستحيل، مش لأنه غير قادر، ما يقال قادر، وغير قادر، هذا شيء اسمه ممتنع، أن يتقابل النقيضان فيجتمعان أو يرتفعان، لا يمكن، وإنما يثبت أحدهما وينتفي الآخر".

قلت: انظر لقول الشيخ الطويل: (هذا شيء) إنه نفس أصل الخلل الذي وقع فيه الأستاذ ذاكر، تسمية العبث، أو المستحيل الممتنع لذاته، بـ (شيء) يعني على رأي المصريين: لا تعيرني ولا أعيرك الهم طيلني وطيلك، وإن كان الأستاذ ذاكر شرق وغرب كثيرًا في هذا الخبص بأسئلة عبثية، لا معنى لها.

(11) وهذا موضع كذب الشيخ سالم الطويل، على الأخ ذاكر، فلم يقل الأستاذ ذاكر (الله لا يقدر على كل شيء) كما افترى عليه الطويل، بل يقول الأستاذ ذاكر: (لا يمكن أن يفعله الله). قال الشيخ الطويل: "هذا ذاكر نفسه يقول: الله عز وجل ليس على كل شيء قدير، ما يقرأ القرآن هذا، أو يقرأه ولا يفهمه..." وقد تمادى في تسفيه الرجل والحط من قدره والنيل منه، بذريعة هذه الكذبة التي افتراها عليه، وهذا من الظلم البين، والتعدي، نسأل الله السلامة، العجيب أن الشيخ الطويل يقول: "موجود كلامه سمعته بنفسي، وسمعه غيري".

(12) سبحان الله ألم يسمع الطويل هذا الكلام قبل أن يفتري على الرجل هذه الفرية؟.

أن يفعل كل شيء، والله قادر على كل شيء[١٣]، يقول: فعال لما يريد، يفعل أي شيء يريده، فلماذا لا يمكن أن يتخذ الله شكلاً بشريًا؟ يسأل الكافر، هذه الفلسفة أن الله يتخذ جسدًا، يسمى التجسد، تسألني: ألا يتخذ الله شكلاً بشريًا؟ نعم يمكنه أن يأخذ[١٤]، لكن في اللحظة التي يتخذ فيها شكلاً بشريًا لن يكون إلهًا؛ لأن الإله أبدي، والبشر فاني، فكيف يكون أبديًا وفانيًا في نفس الوقت، هذا مثل الرجل طويل قصير. انتهى كلام الأستاذ ذاكر بحروفه.

هذا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو محمد مجدي بن حمدي الأبار

---

(١٣) هذا كلام يبين مراد الأستاذ ذاكر، إذ هو نص صريح بأن عدم الفعل لا يعني عدم القدرة، فهل هذه العبارة لم يسمعها الطويل أيضًا، قبل أن يفتري على رجل يقف على ثغر من ثغور الإسلام هذه الفرية التي تخرجه من دائرة الإيمان؟.

(١٤) لفظ قبيح، رجع به الأستاذ ذاكر إلى الخبص والهلوسة من جديد، والتي يسميها منطقًا عقليًا.